

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (172)

المعنى الإجمالي (172):

بعد أن بينت الآية السابقة (171) حال الكفرة المقلدة لآبائهم في الشرك وتحريم ما أحل الله من الأنعام حيث سيبوا للآلهة السوائب، وحموا لها الحامات، وبحروا لها البحائر، نادى الجبار عز وجل عباده المؤمنين: يا أيها الذين آمنوا بالله رباً وإلهاً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ربكم ما أنعم به عليكم من حلال اللحوم.

الإعراب:

(يَا أَيُّهَا) سبق إعرابها ، (الذين) اسم موصول مبني في محلّ نصب بدل من **أَيٍّ** (آمنوا) فعل ماض وفاعله (كلوا) فعل أمر مبني على حذف النون.. والواو فاعل (من طيبات) جارّ ومجرور متعلّق ب (كلوا) ، (ما) اسم موصول مبني في محلّ جرّ مضاف إليه (رزقنا) فعل ماض مبني على السكون و (نا) فاعل و (كم) مفعول به (الواو) عاطفة (اشكروا) مثل كلوا (لله) جارّ ومجرور متعلّق ب (اشكروا) ، (إن) حرف شرط جازم (كنتم) فعل ماض ناقص مبني على السكون في محلّ جزم فعل الشرط.. و (تم) ضمير اسم كان (إياه) ضمير بارز منفصل مبني على الضم في محلّ نصب مفعول به مقدّم (تعبدون) مضارع مرفوع.. والواو فاعل.

وَقَوْلُهُ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}: يتضمّن معرفة الطّريق الموصلة إِلَيْهِ،

وَأَنَّهَا لَيْسَتْ إِلَّا عِبَادَتَهُ وَحَدَهُ بِمَا يَحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، واستعانته على عِبَادَتِهِ.

وَقَوْلُهُ {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} يتضمّن بَيَانُ أَنَّ الْعَبْدَ لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى

سَعَادَتِهِ إِلَّا بِاسْتِقَامَتِهِ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَأَنَّهُ لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى

الاسْتِقَامَةِ إِلَّا بِهُدَايَةِ رَبِّهِ لَهُ، كَمَا لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى عِبَادَتِهِ بِمَعُونَتِهِ، فَلَا سَبِيلَ

لَهُ إِلَى الاسْتِقَامَةِ عَلَى الصِّرَاطِ إِلَّا بِهُدَايَتِهِ.

وَقَوْلُهُ: {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}: يتضمّن بَيَانُ طَرَفِي الانحراف

عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَأَنَّ الانحرافَ إِلَى أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ انحرافٌ إِلَى الضلالِ

الَّذِي هُوَ فَسَادُ الْعِلْمِ وَالْإِعْتِقَادِ، وَالانحرافُ إِلَى الطَّرَفِ الْآخَرِ انحرافٌ إِلَى

الْغَضَبِ الَّذِي سَبَبُهُ فَسَادُ الْقَصْدِ وَالْعَمَلِ.

فَأَوَّلُ السُّورَةِ رَحْمَةٌ وَأَوَسُّهَا هِدَايَةٌ وَآخِرُهَا نِعْمَةٌ.

72 - وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَعَلَّقَهُ الْبُخَارِيُّ

ما يؤخذ من الحديث:

1 - الحديث مقرر للأصل، وهو ذكرُ الله تعالى على كل حالٍ من الأحوال، ولو كان محدثاً أو جنبا، والذكرُ بالتسبيح والتهليل والتكبير والتحميد، وشبهها من الإذكار جائزٌ كل حينٍ بإجماع المسلمين.

2 - يدخلُ في الذكر تلاوةُ القرآن، إلا أن التلاوة مخصصة بحديث علي -رضي الله عنه- قال: "كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقرئنا القرآن ما لم يكن جنبا" [رواه الإمام أحمد (628)، وأبو داود (229)، واليرمذي (146)، والنسائي (265)، وابن ماجه (594)، وصححه اليرمذي].

3 - يخصّص كذلك بحالة البول والغائط والجماع. هذا إذا كان الذكر باللسان، أما الذكر في القلب: فلا مانع منه في هذه الأحوال، والراجح أن مراد عائشة باللسان.

4 - هذا الحديث في معنى الآية الكريمة: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [آل عمران: 191].

73 - وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه- "أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- اخْتَجَمَ وَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ" أَخْرَجَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ وَلَيْسَ لَهُ

ما يؤخذ من الحديث:

1 - أن الحجامَةَ لا تَقْضِي الوضوء، بل تجوز الصلاة بعدها.

2- الحديث مقرر للإصل، وهو أنَّ خروج الدَّم من البدن غير الفرجين لا ينقض الوضوء، والإصل عدم النقض حيَّ يقوم ما يرفع الإصل.

3- المشهورُ من مذهب الإمام أحمد: أنَّ النجس الخارج من غير السبيلين إذا فُحشَ أنه ينقض الوضوء.

قال في السرح الكبير: النجس من غير السبيلين غير البول والغائط ينقض كثيره، بغير خلاف في المذهب.

وقال مالك والشافعي وأصحابهما: لا وضوء منه؛ واختاره الشيخ تقي الدين؛ لأنه لا نص فيه، ولا يصح قياسه على الخارج من السبيل، وإنَّما هو كالْبَصَاقِ والمُخَاطِ، والإصل بقاء الطهارة حيَّ يأتي ما يرفع هذا الإصل، واختاره شيخنا عبد الرحمن السعدي، وتقدَّم الخلاف في ذلك.

4- حديث عائشة السابق أنَّ الرُعافَ والقيء والقَلَسَ ونحوها ممَّا يخرج من البدن من غير السبيلين: ناقض للوضوء، ولكن الحديث ضعيف، وعند الإرجح لا يعارض هذا الحديث الذي معنا، لاسيما وهذا الحديث يقرر أصلاً هو أنَّ الإصل بقاء الطهارة.

5- الحجامَة دواء؛ وقد جاء في صحيح البخاري (5680)، عن ابن عباس عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **"الشِّفاء في ثلاث: بيرة عسل، وبيرطة محجم، وكية نار"**.

قال ابن القيم: إذا كان المرض حاراً، عالجنه بإخراج الدَّم بالفصد أو بالحجامة؛ لأنَّ في ذلك استفراغاً للمادة، وتبريداً للمزاج، ففيه استحباب التداوي، واستحباب الحجامة، وأنها تكون في الموضع الذي يقتضيه الحال.

6- استحباب التداوي؛ ففي مسلم (2204) من حديث جابر أنَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **"لكلِّ داءٍ دواء، فإذا أصيب بدواء الداء، برأ ياذن الله عزَّ وجل"**.

وفي مسند الإمام أحمد (17987)، عن أسامة بن بريك؛ أنَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **"يا عباد الله تداووا، فإنَّ الله لم يضع داءً إلاَّ وضع له شفاءً"**.

قال ابن القيم -لما ذكر أحاديث التداوي-: فقد تضمنت هذه الأحاديث الأسباب والمسببات، وإبطال قول مَنْ أنكرها، ففي هذه الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي وأنه لا ينال التوكل.

فكان هديه -صلى الله عليه وسلم- فَعَلَ التداوي في نفسه، والإمْرَ به لمن أصابه مَرَضٌ من أهله، أو أصحابه.